Route Educational & Social Science Journal
Volume 6(2) ; January 2019

الاتساق بـ (التضام) في الخطاب القرآني للمرأة – دراسة نصية –

CONSISTENCYBY (INCLUSION)INQURANICDICCOURSEOFWOME– TEXUALSTUDY–

المدرس: أنفال رشاد علي

الأستاذ الدكتور:عبد الكاظم الياسري

كلية التربية للبنات/ جامعة الكوفة

الملخص

يعد الاتساق بـ (التضام) من عناصر الترابط النصي، فهو أداة ترابطية يكتسب النص بوجودها سمة التماسك النصي، وذلك راجع لكونها أداة ترابطية معجمية تقع بين طرفين يجمعهما رابط دلالي معين، كما في لفظتي (الرسم – النحت) اللتين ترجعان إلى (الفن). ولذلك تعرف هذه الوسيلة بـ (المصاحبة المعجمية)، أي توارد زوج من الكلمات يرتبطان برابط معين.وقد تجلت وظيفة التضام الترابطية في النصوص القرآنية المباركة بشكل كبير، ومنها مواضع الخطاب القرآني للمرأة. إذ وقف البحث هذا على دراسة النصوص القرآنية التي تجلى فيها خطاب المرأة إخبارا، وتوجيها، وتشريعا. فكان له دور في تحقق سمة التماسك النصي في آياته ونصوصه وبصوره الترابطية المتعددة.

الكلمات المفتاحية: الاتساق، التضام، الخطاب، النص.

Summary

The consistency by(inclusion)is one of the elements of the text coherence, which is a interconnectivity tool , the text acquires by it a text coherence attribute and that because its dictionary interconnectivity tool being between two ends which combine them in a certain indicative link, as in (Draw – Sculpture) which are belong to the (Art). So this facility known as (the accompanying dictionary) that's mean two pairs of words associated with a specific link.The inclusion interconnectivity is manifested in the blessing Quranic texts significantly; one of it is the placement of the Quranic speech to the woman. If this search stops on studying the Quranictexts which is manifested the speech to the woman in it telling, directing and legislating. It will has a role in achieving the features coherence text in its verses and its text in amultiplied interconnectivity.

Key word: Consistency,Inclusion,Speech,Text.

المدخل: الاتساق بـ (التضام) في الدراسات النصية، الخطاب القرآني للمرآة أنموذجا

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الخلق محمد واله وصحبه الطيبين الطاهرين.....

أما بعد

فلا يخفى على دارسي اللغة العربية من أن البحث النصي هو من دراسات علم اللغة الحديث الذي يقف على النص بأكمله وحدةً لغويةً تامةً، إذ تجاوزت الدراسات اللغوية دائرة الجملة الواحدة كوحدة لغوية إلى النص بأكمله، وما ذلك إلا لحاجة المحلل والباحث اللغوي للإحاطة بجميع مفاصل الخطاب، واكتساب فهم تام لمعنى النص وقصدية المنتج.ومن هنا جاءت الحاجة إلى هذه الدراسة، فكان الموضوع (الاتساق بـ (التضام) في الخطاب القرآني للمرأة – دراسة نصية –).

إذ وقف البحث على هذه الأداة التماسكية موضحا دورها في سبك النص وتراصه، ومن ثم كان الوقوف على موضوع الدراسة وهو الخطاب القرآني للمرأة، مبينا مواضع ورود هذه الأداة الترابطية فيه، وكيفية ترابط النص بها وبصورها المتعددة، ومن ثم أثرها في سبك النص.

فجاء البحث هذا في محورين؛ الأول منهما تعريفي لهذه الأداة الترابطية في اللغة، وصورها، وكيفية الاتساق بها في النص. في حين تضمن الثاني دراسة تحليلية نصية لمواضع الترابط النصي في هذا النوع من الخطاب ودورها في سبك جمله وآياته ، ثم أُردف البحث بأهم ما توصل إليه البحث هذا من حقائق. ثم ختم البحث بقائمة المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .

أولا: التضام في البحث اللغوي.

هو من صورة من صور السبك المعجمي يتجلى بعلاقة معجمية قائمة بين طرفين يجمعهما رابط معين، كما في كلمتين (الليل،النهار). ففي هاتين اللفظين تتبين صورة من صور التضام وذلك لوجود علاقة دلالية رابطة بينهما ، وعليه فالتضام هو" توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك "(١)، فالعلاقة الرابطة هنا تقع بين المفردات المعجمية في النص، ولابد من وجود علاقة معينة تربط بين هاتين المفردتين، فهي بذلك قائمة على "الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في جمل تلك اللغة "(٢).

والمقصود بالكلمات المعينة هنا تلك الكلمات التي تشترك مع الأخرى برابط معين.وعليه فأن وجود إحدى هذه الكلمات هو ما يستدعي وجود الأخرى نظرا لهذه العلاقة الرابطة بينهما(٣)، لذلك يطلق على هذه العلاقة بالمصاحبة المعجمية(٤).

إن وجود هذا الزوج من الكلمات مع وجود العلاقة الرابطة بينهما هو ما يحقق العلاقة الاتساقية، ومن ثم تكون هذه العلاقة سمة من سمات النصية .

(١) لسانيات النص : د. محمد خطابي :٢٥

(٢) مقدمة في علمي التخاطب والدلالة : د. محمد محمد يونس، ٣٠.

(٣) ينظر: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية: جمال عبد الحميد، ١٠٧.

(٤)ينظر : المرجع نفسه.

ويرى الباحثون النصيون أن التوارد المعجمي هذا يأتي تبعاً لغرض المتكلم ومبتغاه، فضلاً عما يحيط به من سياق خارجي(٥)،إذ يؤثر كل منها في انتقاء مفرداته ونظمها بشكل مباشر وغير مباشر.

ذلك ان المتكلم يعمد إلى اختيار مجموعة من الكلمات المخزونة في الذاكرة والتي تتداعى معها كلمات أخرى ترتبط معها بعلاقات دلالية عملت الذاكرة على خزنهما معاً بسبب هذه العلاقة (٦)

وقد أشار الباحثون في هذا المجال إلى أن هذا النوع من أنواع السبك يتصف بشيء من الصعوبة وعدم وضوح نوع العلاقة الرابطة بين الكلمات بشكل جلي للقارئ، إذ لايوجد هناك ضابط أو معيار دقيق تستند إليه(٧)، الأمر الذي يتطلب من المحلل النصي الوقوف على معاني هذه الكلمات والرجوع الى معرفته السابقة لها في سياقات أخرى(٨).

أنواع التضام: يصنف التضام نظرا للعلاقة الرابطة بين أطرافها وكالاتي(٩):

١/ علاقة التعارض أو التقابل: وتشمل علاقة التضاد بأنواعها :

- علاقة التضاد التام أو الحاد (غير المتدرج) ومنه (ولد – بنت)
- علاقة التضاد المتخالف (المتدرج) : كما في (بارد — ساخن) (يحب – يكره)
- علاقة التضاد المتعاكس ومثاله (زوج – زوجة) (والد – ولد)

٢/ علاقة الكل بالجزء : ومنه علاقة الكلمات (الرأس — الفم) (السيارة – الفرامل)

٣/ علاقة الجزء بالجزء : كما في (الأذن — العين) (الباب – الشباك)

(٥) ينظر: لسانيات النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، د. عثمان زنيد، ١٠٨.

(٦) ينظر : مدخل إلى علم لغة النص:د. الهام ابو غزالة، و علي خليل، ٨٢-٨٣، علم لغة النص: النظرية والتطبيق، د. عزة شبل،٥٣.

(٧) ينظر : لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٥، علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.

(٨) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق، ١٠٩.

(٩) ينظر: لسانيات النص: د. محمد خطابي: ٢٥، علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٢٥، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:د. احمد عفيفي، ١١٢- ١١٤، علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ٩٨-١٠٩، علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٠٩.

(١٠) ينظر: علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ١٠٦.

٤/ الرجوع إلى قسم مشترك (الاشتمال المشترك): ومنه زوج الكلمات (أمطار – الطائرة) اللتان ترجعان إلى (السفر) وكذلك (يركض – يقفز) ويرجعان إلى (يتدرب)

٥/ الارتباط في سلسلة منتظمة: كما في السبت، الأحد، الاثنين، ..... ، وكذلك شباط، آذار، نيسان ، ..... ، وتسمى هذه المتسلسلات بالمجموعة الدورية(١٠)، وتنضم تحتها مايعرف بعلاقة الرتبة؛ ملازم، رائد، مقدم، عقيد، ... ، ويصطلح عليها في اللغة ب(الألفاظ المتنافرة) " لان القول محمد رائد يعني انه ليس مقدماً "(١١)

٦/ الاشتراك بموضوع معين:وترد هذه العلاقة الاتساقية لتتعدى في العلاقة بين زوج الكلمات إلى أكثر من ذلك، كما في شعر، قصة، كاتب، أسلوب، إذ تجاوزت هذه الكلمات بما يربطها العلاقة بين طرفين، ومن ثم ارتبطت جميعاً بموضوع معين مشترك لتمثل صورة من صور السبك العجمي.

وتبين مما سبق أن علاقة التضام المعجمية وصورها المتعددة بما تتضمنه هذه الصور من معان دلالية جامعة بين أطرافها تتفق أو تقع ضمن نظرية الحقول الدلالية، ذلك ان الحقل الدلالي "هو مجموعة من الكلمات ترتبط دلالاتها وتوضع عادة تحت لفظ عام يجمعها"(١٢)، فكلمات الألوان في العربية مثلاً تقع ضمن حقل دلالي واحد (اللون)(١٣)، وسمي لذلك بالحقل المعجمي نظرا لهذا الارتباط بين معاني هذه الكلمات المتعالقة(١٤)

التضام وسيلة اتساقية.

اكتسبت علاقة التضام هذه السمة النصية كونها علاقة معجمية تقتضي وجود طرفين أو أكثر، مترابطة بعلاقة معينة، وهو ما قصده د. محمد خطابي بـ (التوارد)، فورد أحد هذين الطرفين يستوجب وجود الثاني ضمن علاقةٍ من علاقات التضام هذه .

(١١) المرجع نفسه.

(١٢) علم الدلالة: احمد مختار عمر، ٧٩، ينظر : مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ٣٠.

(١٣) ينظر: المرجع نفسه.

(١٤)ينظر: علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ٧٩.

إذ إن توظيف إحدى هاتين الوحدتين المعجميتين في نص ما هو ما يدعو لمجيء الأخرى(١٥)، وبهذا تصبح هذه العلاقة المعجمية الرابطة لزوج الكلمات هذه، آصرةً تركيبية نصية ممتدة،وأداةً اتساقية معجمية يكتب النص بها سمةً ترابطية نصية، فوجود كلمة (الرأس) مثلاً في نص ما يستصحب كلمة (العين) في النص نفسه ويرتبط به، فالثاني امتداد للأول من جانب، ومتسق به من جانب آخر؛ وهنا تتجلى السمة الاتساقية في هذه العلاقة .

وعليه فأن أياً من هذه العلاقات المعجمية التي تربط بين أطرافها هي صورة من صور السبك المعجمي، إذ تتضام وتتعالق الجمل التي تشمل هذا الزوج من الكلمات المتواردة بفعل هذه العلاقات الرابطة بينهما.

ونخلص مما سبق بأن المصاحبة المعجمية أو التضام هي أداة من أدوات السبك المعجمي، لكونها علاقة ذات أطراف " تتقاسم عدداً من الترابطات "(١٦)،وهي ترابطات دلالية معجمية متعددة .ومن جانب آخر فأن توارد هذه الكلمات المترابطة دلاليا يفضي إلى امتداد النص من خلال استمرارية المعنى بهذه الكلمات المترابطة(١٧).

ثانيا: التضام في الخطاب القرآني للمرأة.

اكتسب النص القرآني سمة النصية هذه من خلال علاقات اتساقية متعددة ومتنوعة، تشابكت مع بعضها لتقدم هذا النص المحكم الترابط، وللتضام بصوره المتعددة أثر جلي في تعزيز هذه السمة وتقويتها، ويتبين للباحث النصي هذا الدور في مواضع كثيرة من القران الكريم ومنها مواضع الخطاب القرآني للمرأة.

إذ اتسمت آيات هذا الخطاب وتماسكت بهذه العلاقة المعجمية، ومنها الخطاب الموجه للمرأة في قوله تعالى:{*وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ*

(١٥) ينظر: علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ٧٤.
(١٦) علم الدلالة : د. احمد مختار عمر، ٧٤.
(١٧) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: ١٥٣.

أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور / ٣١

لقد تجلت في هذا النص القرآني صور ترابطية معجمية، إذ اتسقت جمله بهذه العلاقة النصية في أكثر من موضع وبأكثر من صورة من صورها فكان للتضاد بدرجاته المتعددة دورٌ في سبك مواضع من هذا النص، فالتقابل الدلالي بين لفظتي (الرجال – النساء) بصورة التضاد الحاد (غير المتدرج) من النص السابق حقق علاقة ترابطية بين جملتيه، فوجود لفظة (الرجال) بما تؤديه من معنى معجمي هو ما استدعى ارتباطه بنقيضه في المعنى (النساء) من النص نفسه لبيان مفصلٍ من مفاصل هذا الحكم الشرعي للنساء المسلمات والذي يوجب عليها مسألة الحجاب مع حرمة إظهار الزينة، أي الحلي كالسوار والخلخال والوشاح في المواضع المحرم إظهارها من جسدها للآخرين، عدا من استثناهم الحكم الشرعي من هاتين المسألتين في هذا النص، ومنهم (نِسَائِهِنّ) المسلمات كالاماء المسلمات، وكذلك (التّابعين) وهم الرجال التابعين لهن ليأخذوا من طعامهن وليست بهم حاجة للنساء لأسباب عدة، منها كونهم ذا علة عقلية أو جسدية (١٨).

وبوجود هذا التلازم بين اللفظ ونقيضه في هذا الخطاب تكونت صورة ترابطية،إذ ان هذا الحكم الشرعي لم تستكمل جوانبه إلا بوجود طرفي هذه العلاقة المتضادة،فكانت هذه الحاجة الوجودية للطرف الآخر هي صورة من صور بناء النص .

وقد كان لمجيء هذا النوع من التضاد أثرٌ في تعزيز سمة الترابط النصي، وذلك ان التضاد "كلما كان حادا (غير متدرج) كان أكثر قدرة على الربط النصي،والتضاد الحاد قريب من النقيض عند المناطقة"(١٩)

وقد تنوعت صور الترابط بالتضاد في هذا النص القرآني إذ لم يقتصر مجيئه بالصيغة الاسمية، بل جاء بالصيغة الفعلية من خلال تضاد الفعلين (يُبدين – يُخفين)،فاشتمال السياق على هذين المعنيين المتضادين بالصورة التعاكسية يعد صورة ترابطية معجمية ، ولكون النص القرآني هنا في موضع بيان أحكام المرأة المسلمة، ما لها وما عليها في حجابها وزينتها، فقد استدعى المقام المجيء بمثل هذه العلاقة التقابلية، فالنهي

(١٨) ينظر: الكشاف: الزمخشري، ٣/ ٢٣٥– ٢٣٧، الجامع لاحكام القران: القرطبي، ١٢/ ٢٢٨– ٢٣٤.

(١٩)نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٣.

القرآني عن ابداء زينتهن من حلي وغيره في هذا النص التشريعي هو ما استدعى المجيء بطرف العلاقة الثانية (يُخفين) للوقوف على جزيئات هذا الحكم، فعمد التعبير القرآني إلى هذه الوحدات المعجمية الدالة عليها والتي نتج عنها الصورة الترابطية هذه .

وبرغم كون هذا السبك قد اتسم ببعد المدى لطول المسافة بين طرفيه إلا ان العلاقة الاتساقية قد تحققت فيه،فاشتمال السياق القرآني على المعنى الأول لفعل الظهور قد تطلب الإتيان بالوحدة المعجمية الثانية بدلالتها على الخفاء لإتمام معنى هذا الحكم الشرعي. وبهذا يكون الترابط قد وقع في بينة النص الكلية لابتداء النص بطرف العلاقة الأول ومجيء ثانيه آخر النص هذا؛ وبوجود هذا التجاذب بين طرفي هذه العلاقة تبيّن للمحلل النصي عنصر التلاحم والتماسك بين أركانه ومفاصله .

ثم تأتي آلية الربط الثالثةفيهذاالنصبصورةمغايرةعماسبق،وذلكبتضامالجزءبالجزءفيزوجالكلمات (خمرهن – جيبوهن) اللتين جاءتا محوراً من محاور هذه الأوامر التشريعية للمرأة .فكونه نصاً يشرع في بيان خمارها وملبسها الساتر لجسمها إلا ما ظهر من مواضع محللة، فقد وقف التعبير القرآني على هذا الجزء منه (خمرهن)، والخمار هو ما تغطي به المرأة رأسها عدا الوجه كالمقنعة ونحوها (٢٠).

ثم اقتضى المقام من السياق القراني أن يستصحب مع هذه المفردة كلمة (جيبوهن) ليتم بها الخطاب أخباره؛ أمره ونهيه؛ والجيب هو الجزء المقطوع من القميص(٢١)، والذي كان أنذاك واسعاً فيظهر منه عنقها ونحرها لكون حجاب المرأة كان منسدلاً للوراء كالقبط(٢٢)، فجاء الأمر الإلهي بأن يسدلن خمارهن للإمام ليغطي هذا الجزء من الملبس الجزء الثاني منه (الجيب) فيستران بذلك هذه الأجزاء من الجسم (العنق والنحر). وعلي فقد أستوفى النص القرآني بهذين اللفظين (الجزئيين من الملبس) بعلاقة الجزء بالجزء الترابطية وعلى مستوى الجملة الواحدة، جانباً من جوانبه التشريعية.

ولعل أكثر ما تتضح سمة الترابط بهذه الآلية في هذا النص هو ارتباط عناصر عدة فيه بموضوع معين؛ فكلّ من(بعولتهن، آبائهن، آباء بعولتهن، أبنائهن، أبناء بعولتهن، إخوانهن، بني أخواتهن، نسائهن، ما ملكت

(٢٠) ينظر: العين:الفراهيدي، ٤/ ٢٦٣، جمهرة اللغة:ابن فارس، ٥٩٢/١.
(٢١) ينظر: العين، ٦/ ١٩٢، جمهرة اللغة: ٢٧٢/١، ٤٩٣.
(٢٢) ينظر: الكشاف، ٣/ ٢٣٦، الجامع لأحكام القران:٢٣٠/١٢

إيمانهن ،التابعين ،الطفل) هي عناصر لغوية ترتبط برجوعها إلى عنصر معين،إذ يجمعها محور دلالي مشترك وهو (محلي المرأة) فهم الذين يحل لها أمامهم ما يحرم عليها لغيرهم من حجاب وزينة، وهمالزوج، محارم المرأة السبعة الذين ذكرهم النص التشريعي فضلاً عن غيرهم مما ملكت أيمانهم من النساء المسلمات كالاماء، والتابعين الذين ليست بهم حاجة لهن كالأبله والعنّين، أو الشيخ الصالح، وكذلك الأطفال الذين لم يطلعوا ويعرفوا عورات النساء(٢٣)

إذ تعددت العناصر المستثناة من هذا الحكم الشرعي، وبهذا الاستثناء لكلٍ منهم تجلت علاقة الترابط بينهم، إذ تعالق كل منها مع الآخر بهذه الرابطة المشتركة، فهم يجتمعون تحت محور دلالي واحد .

وعليه فأن الأداة الرابطة هنا وان كانت من أدوات الربط اللفظي غير ان اتساقها قد استند في جانب منه على العنصر الدلالي وبه يكون هذا الترابط شكلي ومعنوي.

وقد كان لمجيء هذه العناصر المتضامّة معطوفة بالأداة (أو) أثر في تعزيز سبكها وإحكامها وتراصها، كونها قد تعالقت بآليتين اتساقيتين متباينتين؛ نحوية (الوصل) ومعجمية (التضام).

وبهذا يكون الخطاب القرآني هنا قد اتسم بسبك عالٍ محكم كونه قد ضم ألوانا وصوراً ترابطية عدة، نحوية ومعجمية " تفاعل بعضها مع بعض في عملتي الفهم والإفهام الضروريتين في عملية التخاطب اللغوي "(٢٤)، والفهم والإفهام هما ركيزتا التواصل اللغوي الذي يعد الهدف الأساس من كينونة النص وإيجاده .

وقد اتسقت مواضع أخرى من الخطاب القرآني الموجه للمرأة بعلاقة التضام هذه، ففي قوله تعالى: {*وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ*} البقرة /٢٣٣

تقابلت لفظتي (والدة – ولدها) بصورة التضاد المتعاكس وهي صورة من صور سبك هذا النص من خلال تضام زوج الكلمات هذه بعلاقة التقابل المعجمية .

(٢٣) ينظر: الكشاف، ٣/ ٢٣٧، الجامع لأحكام القران، ١٢/٢٣١– ٢٣٧.

(٢٤) مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب: ٣٢.

فالارتباط شكلي بالتلازم والمصاحبة اللفظية، دلالي بمقابلة أحدهما للآخر في المعنى أي ان صفة الوالدة قد ارتبطت بوجود ولد لها فكل مولود يقابله في الوجود والدة له، وهنا تكمن مسألة الترابط والتلازم. والسبك بالتضام بين هاتين المفردتين هي الصورة الترابطية الثانية لها بعد أن كانت جزءاً من آلية السبك المعجمي (التكرار – التكرار الاشتقاقي) كونهما مشتقتين من جذر لغوي واحد وهي مادة (ولد) المعجمية(٢٥).

وبسبب اشتقاق زوج الكلمات المتضامة من مادة معجمية واحدة، تسمى علاقة الترابط بالتضاد هذه بالترابط الاشتقاقي أو (المرتبط اشتقاقيا)(٢٦)؛ وربما يكون التعبير القرآني قد عمد إلى هذه العلاقة التقابلية الرابطة تناسباً مع مضمون هذه الآية التي وقفت على حكم الطرفين، الوالدة وما ولدت، ومالهما من حقوق، وما على الوالدين من واجبات لما وُلد؛ فمثلما جاء النص القرآني بحقوق الوالدة من رزق وكسوة، فقد وقف على حقوق المولود في الرضاعة ناهياً الوالدة عن ترك إرضاعه أو التقصير في غذائه ، غيظا على والده لان في ذلك ضرراً على المولود(٢٧)، فجيء بهذه العلاقة التقابلية على مستوى الجملة الواحدة توكيداً وتقريرا للحكم، تقوية وتعضيدا للنص .

وقد تضافرت هذه الصورة التّضامية بين هذين الزوجين من الكلمات مع صورة تضامية أخرى في النص نفسه مقويةً من سبك هذا النص ونسجه، فقد ضم النص نفسه آلية التضام بالرجوع إلى عنصر مشترك في قوله تعالى: { وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ}البقرة /٢٣٣

فالتلازم اللفظي لمفردتي (رزقهن،كسوتهن) صورة من صور الاتساق المعجمي، إذ تضامّت هاتان المفردتان كونهما ترجعان إلى عنصر مشترك (الأنفاق) وهو واجب الوالد تجاه الوالدة، مع اختلاف الآراء بكون النص القرآني هنا قد قصد جميع الوالدات، أم من كانت مطلقة منهن(٢٨)، لذلك جيء بهذه العلاقة التلازمية إظهار لهذا الجانب الإعلامي الوجوبي للوالد فالرابط بين طرفي العلاقة هذه دلالي، فكل منهما يشترك بكونه من واجبات الوالد تجاه زوجته بعد الولادة، وهي في الوقت نفسه من حقوق الوالدة حتى لو كانت مطلقة .

(٢٥)(ينظر: العين، ٧١/٨، مقاييس اللغة ٦/ ١٤٣، لسان العرب: ابن منظور: ٣/ ٤٦٧.

(٢٦) ينظر: علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ١٠٤.

(٢٧) ينظر: الكشاف، ٣٠٧/١، معاني القران واعرابه: الزجاج، ٣١٣/١.

(٢٨)ينظر: الكشاف: ٣٠٧/١، معاني القران واعرابه: ٣١٣/١.

وبذلك فهما يرجعان إلى حقل دلالي واحد محسوس ذي عناصر منفصلة في الواقع، لم تتعد عناصره هذه مستوى الجملة الواحدة فهي علاقة ترابطية ذات مدى قريب. وبتصاحب الكلمة الأولى هنا مع الثانية تبينت سمة التعالق بينهما، ومن ثم صارت سمة من سمات نصية هذا الخطاب، عضدت بوجودها مع غيرها من أدوات الاتساق في هذا النص النحوية منها والمعجمية التآصر النصي فيه، إذ كانت كلٌّ منها لبنةً من لبنات بناء هذا النص بنسج محكم وسبك عال.

وقد تعززت سمة السبك النصي في الخطاب القرآني للمرأة باتساق آياته وتضامنها في النصوص الصادرة من المرأة إذ وردت هذه العلاقة المعجمية آليةً ترابطيةً في مواضعٍ عدةٍ منها،ومنه قوله تعالى: {*إِذْقَالَتِامْرَأَةُعِمْرَانَرَبِّإِنِّينَذَرْتُلَكَمَافِيبَطْنِيمُحَرَّرًافَتَقَبَّلْمِنِّيإِنَّكَأَنْتَالسَّمِيعُالْعَلِيمُ(٣٥)*
فَلَمَّاوَضَعَتْهَاقَالَتْرَبِّإِنِّيوَضَعْتُهَاأُنْثَىوَاللَّهُأَعْلَمُبِمَاوَضَعَتْوَلَيْسَالذَّكَرُكَالْأُنْثَىوَإِنِّيسَمَّيْتُهَامَرْيَمَوَإِنِّيأُعِيذُهَابِكَوَذُرِّيَّتَهَامِنَالشَّيْطَانِالرَّجِيمِ} ال عمران/ ٣٥-٣٦.

فالعلاقة الاتساقية هنا تتضح بين لفظتي (الذكر والأنثى) المترابطتين بعلاقة التضاد الحاد في هذا النص القرآني. و لا يخفى اثر هذين الزوجين فيسبك النص، إذ جاءتا في موضع عرض قصة امرأة عمران وحملها ونذرها لمولودها أن يكون من خَدَمة المعبد، ثم ولادة مريم (عليها السلام)، ومسالة عدم التعارف على أن الأنثى تكون في خدمة المعبد(٢٩)،لقوله تعالى: {*رَبِّإِنِّيوَضَعْتُهَاأُنْثَىوَاللَّهُأَعْلَمُبِمَاوَضَعَتْوَلَيْسَالذَّكَرُكَالْأُنْثَى*} آل عمران/ ٣٦، فالنص هذا بصدد بيان الطقوس الدينية والأعراف الاجتماعية التي تقضي ان تكون خدمة المعبد للغلمان " وما كان التحرير إلا للغلمان "(٣٠)، لذلك تجد الخطاب القرآني هنا قد تخللته هذه الألفاظ المتضادة والتي تصور بعضا من جوانب هذه القضية انذاك، فذِكْر احد طرفي هذه العلاقة في هذا المقام هو ما اقتضى استدعاء الطرف الثاني منها، أي ان وجود الأول هو ما طلب وجود الثاني. ومن ثم كان الاستدعاء والوجوب صورة من صور العلاقة الترابطية هذه وعنصرا من عناصر ترابط البنية النصية.
ومن قبيل هذه العلاقة الترابطية في الخطاب الصادر، قوله تعالى: {*قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ(٢٩) إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ(٣٠) أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١)قَالَتْ يَا*

(٢٩) ينظر: الكشاف، ١/ ٤٨٣-٤٨٤، البحر المحيط: الاندلسي، ١١٦/٣.
(٣٠) الكشاف: ٣٨٤/١، البحر المحيط: ١١٦/٣.

أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ(٣٢) قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ(٣٣)قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ }النمل / ٢٩-٣٤، إذ جاء النص مسبوكا بتضام مفردتي (كتاب كريم) و (بسم الله الرحمن الرحيم) و (وألّا تعلوا علي وائتوني مسلمين) بعلاقة الكل بالجزء المعجمية، فَذكْر مفردة (كتاب كريم) جاءت مقترنة ومرتبطة بالجملتين بعدها، وهاتان الجملتان هما جزء من كلٍ وهو كتاب النبي سليمان (عليه السلام)، المتضمن دعوةً منه إليها للدخول في دينه. .

فقد تضمن الكتاب كلاماً محذوفاً في النص ومنه: كنية المرسل، واسم المرسَل إليه ومملكتها وغيرها من مواضع الحذف(٣١)، ذلك ان التعبير القرآني قد اعرض عن ذكرها اكتفاءً بالمذكور، كونه من قبيل القصص القرآني الذي يكثر فيه الحذف اختصاراً واستغناءً بالمذكور مع تمام المعنى(٣٢).إن سمة الترابط النصي تبدو هنا بيّنة فعالةً أكثر من غيرها من المواضع الأخرى، وذلك لان وجود وحدتين معجميتين إحداهما جزء للأخرى يوجب ان يكون " استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى"(٣٣)

وقد تعززت سمة التماسك النصي في هذا الخطاب الصادر بالعلاقة التقابلية بين لفظتي (أعزّة – أذلّة)، إذ اتسقت هاتان اللفظتان بهذه الصورة التخالفية من التضاد المتدرج، وتجلى بهما واضحا هذا الجانب الترابطي، فالصفة الثانية مرتبطة ومتعالقة مع الأولى دلاليا، كونها متضادة معها في المعنى، وبهذا المحور الدلالي المتخالف تكونت العلاقة التماسكية هذه، إذ " تصنع مثل هذه العلاقات تماسكا نصياً بدلالاتها المتناقضة على مبدأ " والضد يظهر حسنه بالضد" "(٣٤) .

وفضلاً عن آلية الترابط النصية هذه، فأن السمة الترابطية لهذا الخطاب قد تأتّت له بآلية لغوية أخرى، وذلك مما يفرضه عليه النظام النحوي،إذ إن هاتين المفردتين (أعزة– أذلة) هما معمولا الفعل (جعل) المتعدي لمفعولين، ولا يمكن لنظام الجملة النحوية هذا أن يتم ويستقيم معناه إلا بورود هاتين المفردتين؛ ومن هنا يتجلى الجانب الترابطي بين مكونات هذا النص .

---

(٣١) ينظر: روح المعاني:الالوسي، ١٩/١٩٥، اعراب القران وبيانه: ١٧/ ٢٠٠- ٢٠١.

(٣٢) ينظر: الإعجاز اللغوي في القصة القرانية: محمود السيد حسن، ٢٠٦، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: د. صبحي الفقي،٢/ ١٩٥-١٩٦.

(٣٣) علم الدلالة: د. احمد مختار عمر، ٧٤.

(٣٤) نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي: ١١٤.

وكان للمصاحبة المعجمية بصورة الترادف، أو الرجوع المشترك لعنصر معين إسهام جلي في هذا الخطاب والمتمثل في مفردتي (قوة – بأس) وهو خطاب قوم بلقيس موجهُ إليها، وفيه رد على استشارتها لهم حول كتاب النبي سليمان (عليه السلام) في النص نفسه، فقولهم{نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُوْلُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ}النمل/ ٣٣ ، تضمن علاقةً معجمية من خلال رجوع هاتين المفردتين إلى عنصر دلالي واحد، وهو (الاستطاعة البدنية) أو (القدرة الجسمانية) كونهم قوماً امتازوا بقوة الأجساد وكثرة العدد مع كونهم أصحاب بأس شديد، أي شجاعة وبلاء مفرط في الحروب(٣٥)

فالتلازم الوجودي لهاتين اللفظتين هو من قبيل السبك المعجمي بالمصاحبة المعجمية، وهما وحدة من وحدات بناء هذا النص، إذ عمد التعبير القرآني إلى إيرادهما وقوفاً على تفاصيل هذه القصة القرآنية، وعرضا لأحداثها، فجيء بهما مع غيرهما من صور المصاحبات المعجمية بوصفها أساسا من أسس عرض هذا النص القصصي اعتماداً على العلاقات الدلالية التي يكتسبها النص بوجودها وما تقدمه له من صور دلالية تسهم في بنائه. وعليه فأن هذا النص القرآني القصصي قد جاء مسبوكا محكماً بصور اتساقية عدة معجمية منها ونحوية .

ومن هنا يمكن للباحث والمحلل النصي" تصور التراكيب والعبارات الأساسية في لغة ما على أنها تشكيلات من الروابط الكائنة بين أزواج من العناصر، يخضع كثير منها لحالات ربط أخرى "(٣٦)

ومن التشكيلات المتعددة للوحدات المعجمية في علاقة التضام هذه تبيين أن لهذه العلاقة المعجمية حضوراً فعالاً في سبك آيات الخطاب القرآني للمرأة ، إذ تجلت هذه الأداة الترابطية في مواضع عدة من مفاصل هذا الخطاب وعملت بأنواعها وصورها المتعددة المتنوعة على تعزيز سمة السبك النصي في هذا الخطاب .

(٣٥) ينظر: الكشاف، ٣٦٩/٣، روح المعاني: ١٩/ ١٩٧.

(٣٦) مدخل إلى علم لغة النص النظرية والتطبيق: ٧٣.

نتائج البحث

لقد تجلت من هذه الدراسة القرآنية مجموعة من الأمور، وأهمها:

١/ تعددت أدوات التماسك النصي في القران الكريم و تنوعت، إذ كان لجميع هذه الأدوات دور فعال في ترابط نصوصه وآياته، ومنها الخطاب القرآني للمرأة، فقد اكتسب من خلالها سمة النصية.

٢/ اتساق مفاصل هذا الخطاب بالية التضام المعجمية وبصورها المختلفة، فكانت حلقة من حلقات بناء هذا النص .

٣/ يعد اشتمال الخطاب القرآني على بعض الأحكام التشريعية للمرأة من أسباب الاتساق بهذا العنصر المعجمي، ذلك ان النص التشريعي يقف على جميع جزئيات هذا التكليف، الأمر الذي استدعى المجيء بأركان هذا العنصر الاتساقي؛ فعلاقة الاتساق (الجزء والجزء) مثلا قد وردت هنا في آيات الحجاب للمرأة، وبيان الأجزاء التي ينبغي أن تُستر من جسمها؛ في حين استدعى ذكر النص القرآني لمحلي المرأة والمستثنين من حكم الحجاب الاتساق بعلاقة الرجوع لعنصر مشترك، وغيرها من مواضع الخطاب.

٤/ كان للمقام أيضا دور في ترابط نصوص هذا الخطاب بهذه العلاقة التصاحبية، وكما هو الحال في قصة النبي سليمان (عليه السلام) وملكة سبأ، إذ تجلى هذا الأمر بعلاقة الاتساق (الكل والجزء) في كتاب النبي سليمان (عليه السلام)، الذي اشتمل على عددٍ من صور الاتساق فضلا عن هذه الرابطة.

٥/ تضافرت أدوات اتساقية أخرى (نحوية، ومعجمية) مع هذه الأداة في تعزيز سمة التماسك في هذا الخطاب، فجاءت نصوصه اشد تماسكا وأكثر تلاحما

المصادر والمراجع

- القران الكريم

- إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (ت: ٣١١هـ):معاني القران واعرابه،تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط١، عالم الكتب – بيروت ،١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

•احمد عفيفي: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي،ط١، مكتبة زهراء الشرق – القاهرة، ٢٠٠١م.

•احمد مختار: علم الدلالة، ط٥، عالم الكتاب – القاهرة، ١٩٩٨م.

•الهام أبو غزالة ، علي خليل حمد:مدخل إلى علم لغة النص،ط٢ ، الهيئة المصرية العامة ، ١٩٩٩

•جمال عبد الحميد:البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيأة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.

•الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: ١٧٠هـ): العين، تح: د مهدي المخزومي،و د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ت.

•صبحي ابراهيم الفقي:علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق – دراسة تطبيقية على السور المكية –، ط١، دار قباء للطباعة – القاهرة، ٢٠٠٠م.

•عثمان أبو زنيد: نحو النص إطار نظري ودراسات تطبيقية، ط١، عالم الكتب الحديث – اربد، ٢٠١٠م.

•عزة شبل محمد:علم لغة النص النظرية والتطبيق، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٧م.

•محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١ هـ): الجامع لأحكام القران:تح: هشام سمير البخاري ، دار عالم الكتب، الرياض ، ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣ م

•محمد بن الحسن بن دريد الأردي (ت٣٢١هـ):جمهرة اللغة، تح: رمزي منير بعلبكي، ط١، دار العلم للملايين – بيروت، ١٩٨٧م

• محمد خطابي:لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط٢، المركز الثقافي العربي – المغرب، ٢٠٠٦.

•محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي (ت: ٧١١هـ): لسان العرب، ط٣، دار صادر – بيروت، ١٤١٤ هـ

•محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ): البحر المحيط في التفسير: تح: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ

• محمد محمد يونس:مقدمة في علمي التخاطب والدلالة، ط١، دار الكتاب الجديدة المتحدة – بيروت، ٢٠٠٤م.

•محمود السيد حسن:الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية،ط١، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٨١م.

•محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الالوسي (ت: ١٣٤٢هـ):روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت

•محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، (ت ٥٣٨ هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.